

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي من أسند أمره إليه كفاه ، ومن رفع إليه يديه أجازته وسمع دعاه ، ومن توكل عليه أعانه وهداه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة العبد المؤمن ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله خير من أوتي الحكمة وفصل الخطاب ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين بذلوا نفوسهم في نقل جوامع أقواله وأخباره ، والذين أشبهوا في الهداية بهم نجوم السماء .

وبعد :

فلقد شدني وأنا أقرأ عن الصحابي الجليل معاذ بن جبل ماقاله له رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم : « والله إني لأحبك يا معاذ ! » . (١) .

وتلك قولة عظيمة استحوزت على نفسي وتفكيرى وعزمت أمري على تتبع سيرة هذا الصحابي الجليل الذي آثره رسولنا العظيم بهذا الحب النبوي الكريم ، فكانت هذه المحاولة التي أقدمها اليوم ، راجيا أن تكون منطلقا لمحاولات أخرى مع صحابة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

فمكتبتنا الإسلامية تفتقر إلى هذا النوع من المؤلفات التي تهدف إلى التعريف المسهب بسير الصحابة — رضوان الله عليهم أجمعين — .

(١) سنن أبى دواد : (كتاب الصلاة) باب فى الاستغفار جـ ٢ صـ ٨٦ رقم ١٥٢٢ طبع دار الفكر ببيروت ، تحقيق وضبط : محمد محى الدين عبد الحميد .

وإني أعترف بأن هذا العمل لم يكن سهلاً ميسوراً ، فقد اقتضاني البحث الدؤوب في ثنايا المخطوطات والمراجع لجمع البيانات والمعلومات من مظانها على كثرتها وتشتتها ، واضطررتني إلى السهر لترتيب المادة وإخراجها على أكمل وجه ، لكي يصبح مرجعاً للقراء والعلماء الباحثين .



ومعاذ ^(١) بن جبل — رضي الله عنه — هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أويس بن عائذ بن كعب الخزرجي الأنصاري السلمي . وكنيته : أبو عبد الرحمن الإمام أعلم الأمة بالحلال والحرام . وكان يشبه بإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام . وكان أمة قانتا لله حنيفا . أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة .

وشهد بيعة العقبة مع السبعين من الأنصار — رضي الله عنه وعنهم — وشهد بدرًا والمشاهد كلها ، وأردفه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خلفه وقال : « يامعاذ ! والله إني أحبك » . وبعثه إلى اليمن قاضياً بعد غزوة تبوك وشيعة ماشياً في مخرجه ، وكان معاذ راكباً .

وروى أنه لما بعثه — صلى الله عليه وسلم — شيعة يوصيه ، ومعاذ راكب ، ورسول الله — صلى الله عليه وسلم — ماش تحت راحلته ، فقال له : « يامعاذ : عسى أن لاتلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك تمر بمسجدي هذا وقبري » فبكى معاذ — رضي الله تعالى عنه — لفراق رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة ، فقال : « يامعاذ ! إن أولى الناس بي المتقون أيّاً كانوا وحيث كانوا » . (٢) .

(١) ومعاذ هو اسم المفعول من استعذت بالله ، وعذت به معاذاً وغيذاً : اعتصمت . وتعوذت به وعوذت الصغير بالله .

والمعوذتان : « قل أعوذ برب الفلق » ، و « قل أعوذ برب الناس » لأنهما عوذتا صاحبهما ، أى : عصمتهما من كل سوء . وباسم المفعول سُمي ، ومنه : معاذ بن جبل .

(٢) انظر مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٢٣٥ .

ثم قال : « يامعاذ ! يسر ولا تعسر ، وبشر ولا تنفر ، إنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسألونك : ما مفتاح باب الجنة ؟ فقل لهم : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يامعاذ : اتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » (١) .

وروى الحافظ أبونعيم بإسناده أن أنس بن مالك — رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل » (٢) .

وروى عن ابن مسعود — رضى الله عنه — قال : إن معاذ بن جبل كان أمة قانتا لله حنيفا ، ف قيل له : ذلك إبراهيم (٣) عليه الصلاة والسلام ! فقال : مانسيت ! هل تدري ما الأمة والقانت ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم ، فقال : « الأمة : الذي يعلم الناس الخير ، والقانت : المطيع لله ورسوله » (٤) .

وأوجز الإمام المناوي في (كواكبه) (٥) حياة معاذ بن جبل في أروع صورة فقال : معاذ بن جبل المحكم للعمل ، التارك للجدل ، مقدم العلماء ، إمام الحكماء ، مطعام الكرماء ، القارئ القانت ، المحب الثابت ، الولي المأمون ، الوفي المصون ، المؤمن على العباد والمال ، المصون من الموانع في الأحوال ، وقد قيل : التصوف : مزاولة الأنفس في رياض القدس . قال المصطفى — عليه الصلاة والسلام — : « معاذ أعلم أمتي بالحلال والحرام » . وقال « معاذ إمام العلماء برتوة » (٦) . وقال له : « يامعاذ : إني أحبك » . وبعثه عاملا على اليمن .

(١) رواه أبونعيم وابن عساكر (كنز العمال ٣٠٢٩٢) .

(٢) انظر طبقات ابن سعد « ترجمة معاذ بن جبل » ج٢ ق٢ ص١٠٧ ، ج٧ ق٢ ص١١٤ .

(٣) انظر طبقات ابن سعد « ترجمة معاذ بن جبل » ج٢ ق٢ ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٤) جاء في الآية : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ﴾ سورة النحل الآية ١٢٠ .

(٥) الإمام عبد الرؤوف المناوي : (الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية) مخطوطة شستر بيتي رقم ٣٦٢٦ ، الورقة ٣٧ .

(٦) الرتوة : هي الرمية . والمراد قرب المسافة . أي : يتقدم عليهم بمقدار رمية حجر ، والحديث أخرجه الطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية .

ومن كلامه : أوصيك بأمرين إن حفظتهما حفظت : أنه لاغنى بك عن نصيبك من الدنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر ، فأثر نصيبك الأخرى على الدنيوي . وقال : ماعمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله . وقال : ثلاث من فعلهن فقد تعرض للمقت : الضحك من غير عجب ، والنوم من غير سهر ، والأكل بغير جوع . وقيل له : ألا تجمع لله آلة تبني بها مسجداً ؟ قال : أخاف أن أكلف حمله يوم القيامة على ظهري . ولما أحضر نزع نزعاً شديداً لم ينزعه أحد ، فكان كلما أفاق فتح طرفه ثم قال : يارب احتفني حتفك ، فوعزتلك إنك تعلم أني أحبك . رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه .

وبعد هذه الكلمات الموجزة التي قيلت في سيرة هذا الصحابي الجليل ، دعنا ندخل معا — أيها القارئ العزيز — في تفاصيلها ، علّنا نهتدي بهديها ونقتبس من عظمتها وعبرها .

والله حسبي فيما أعول عليه ، وعليه أتوكل في أن يمنحني هداية الطريق ، ويرزقني حلاوة التحقيق ، ويعصمني من الزلل في القول والعمل ، ويلهمني الصواب ، وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه مآب .

دكتور

عبد الحميد صالح حمدان